رسالة من عالم الابدية

عرّبها الاب رفائيل نخله اليسوعي

تمهيد

نحن في جيل قد تفاقم فيه ارتخاء الايمان وفساد الاخلاق : فنتج عنهما انتشار انواع الخرافات : ومن اشهرها مناجاة الارواح . قد ادعى اتباع ذلك المذهب مقدرة الانسان ان يُحضر . على يد وسيط خبير : اي نفس ميت اراد ها : من عالم الابدية الى هذه الدنيا : فيسألها ما يهمه من الاسئلة ويجيب عليها . من البديهي ان كل نفوس الموتى تحت سلطة الله المطلقة : وانه لا يليق اصلاً بجلاله اللامتناهي ان يبعثها الى اهل الارض : وفقاً لارادتهم وتسيساً لرغائبهم . بيد انه قد سمح مئات المرار بظهور نفوس اتت الى هذا العالم من السماء او المطهر او جهنم : لتثبيتنا في الايمان بعراتبنا : او لغاية اخرى لائقة بعظمته ورحمته . كذلك يحسُن لديه احياناً ان يعرّفنا بواسطة حلُم احوال نفس ميّت : لتتخذ منها عبرة خلاصية.

هذا النوع الاخير من الوحي الخاص قد حدث في اواخر ايلول ١٩٣٧ لفتاة كاثوليكية اسمها كلارة (Clara) : فقد رأت وقرأت في اثناء منام رسالة طويلة من شابة اخرى ، اسمها آنّت (Annette) ، كانت مستخدمة معها : وقد ماتت فجأةً بضعة ايام قبل ذلك الحلم العجيب . قيدت كلارة تلك الرسالة بحذافيرها ، وقد فحصها بكل التدقيق ارباب السلطة الكنسية ، فتحققوا انها فائقة الطبيعة وجديرة بالتصديق : فاذنوا في طبعها بالالمانية ، وقد تعددت طبعاتها .

من جملة البراهين على كون تلك الرسالة ليست وليدة مخيّلة كلارة ، انها مشحونة بتفاصيل كثيرة من حياة آنّت ، لم يكن لها أدنى علم بها ، وقد اتضح انها كاملة المطابقة للواقع . من جهة اخرى كل اقوال الميّتة عن شؤون حياتنا الدينية في هذه الدنيا وعن احوال عقاب الشياطين وسائر الهالكين في جهنم ، هي على اتم الموافقة لتعليم امنا الكنيسة ونواميس

اللاهوتيين من ابنائها . فمن المحال ان تعزوها الى فتاة قرأتها في حلم ؛ وليس هنا ادنى اطلاع على اللاهوت .

في النص الالماني لتلك الرسالة لم يُذكر اسما عائلتي كلارة وآنت ؛ وقد أشير الى بعض الاشخاص والاماكن بحرف واحد . لسبب لا حاجة الى ذكره .

هاكم الآن تعريبنا الدقيق لتلك الرسالة النادرة جداً امثالها ؛ وقد اهملنا فيه شيئاً من التفاصيل التي لا تهم القراء . فأثبتنا ثلاث نقط منابها .

يا كلارة . لا تصلي لاجلي . ذني هالكة . اذا قلتُ لك ذلك ؛ فلا تظني قولي صادراً عن صداقة . فنحن هنا كافّون عن حب اي شخص كان ... في الحقيقة اود ان اراك انت ايضاً في الحالة التي انا مثبّتة فيها الى الابد ؛ فان ارادتنا متصلبة في الشر . فيما تسمونه انتم الشر . ولو صنعنا شيئاً من الخير . كما افعل الآن . بفتح عينيك على جهنم ؛ فمن المحال ان تكون نيتنا صالحة .

الا تزالين متذكرة اننا قد تلاقينا . من اربع سنين . في مكتب السيد ج. ؟ كنتِ وقتئذ بنت ثلاثة وعشرين عاماً . ووجودة هناك منذ ستة اشهر حين وصولي ... اما حوادث شبابي . فانت واقفة عليها ؛ من ثم ساكتفي ببعض التكملة لما تعرفينه .

والداي لم يشتهياني ؛ فكنت ثمرة عارض ؛ وحين وُلدت ؛ كانت اختاي بنتي اربعة عشر وخمسة عشر عاماً . ليتني لم اوجد قط ! ليتني في هذه الحنية اتلاشى فاتخلص من تعذيباتي ! لا لذة شديدة يسعها ان تساوي لذة تجردي عن وجودي ؛ المشابه قسطاناً من الرماد ؛ وزوالي في العدم . بيد انه يتحتم عليّ ألا أكفّ عن الوجود في الحالة التي جعلتني فيها حياة مُضاعفة !

حين غادر والداي الارياف ؛ وهما لا يزالان شابين ؛ وانتقلا الى مدينة ؛ كانا قد قطع كلاهما كل علاقة بالكنيسة ؛ وكان ذلك خيراً لهما . قد تعارفا في ردهة رقص ؛ وستة اشهر بعدئذ تحتم عليهما الزواج . لا شك في توهمها ان خفة الاقتران قدستهما لطول حياتهما ؛ فاعفتهما من

التردد الى الكنيسة . امي لم تذهب الى القداس سوى مرتين في السنة . ولم تحسن قط تعليمي الصلاة . كانت اشغال البيت تستأثر بها : مع اننا لسنا في الضيق . اكتب الكلمات « صلاة : كنيسة . قداس » بأشد النفور : فاني ابغض كل ذلك . ابغض المترددين الى الكنيسة : ابغض كل الناس وكل شيء . كل كائن هو في الواقع تعذيب لنا : كل تذكر للحياة هو لنا لهيب لاذع . فان جميع الذكريات تبدو لنا شبه آلات نعسة نبذناها : ما اشد ذلك التعذيب ! اننا ننظر : ونحن متيمّدون : منعمون بالبغض والتعذيبات ، والغيظ الشديد في قلبنا . الى حياتنا المضطرة . هنا نشرب البغض مثل الماء يُجرّع طوال . بل نتباغض . اما الله فهو الذي نبغضه اكثر . الطوباويون في السماء مضطرون الى محبته : لانهم يشاهدونه بدون حجاب في جماله الباهر . فذلك يسعدهم على وجه فائق الوصف : نحن نعرف هذا : وهو يفعمنا غيظاً . الناس اهل الارض الذين يعرفون الله بالخلق والوحي : قادرون على حبه : لكنهم غير مقسورين عليه . المؤمن — هذه الكلمة تثير اشمئزازي — الذي يتأمل ويشاهد : ممدود الذراعين . المسيح على الصليب : يؤول به هذا الموقف الى محبته . اما الذي لا يدنو منه الله الا في العاصفة . بصفة منتقم عادل : كما هي حالتنا : فلا يسعه سوى ان يبغضه الى الابد بكل سطوة الارادة الخبيثة التي وذلت الله في ساعة الموت وذلاً دائماً .

يتحتّم عليّ ان اضيف الى كلامي ان الله رحيم : حتى نحونا . اقول « يتحتم » لاني لا اشعر بحريتي للكذب : الكلمات تتقيد على الورق ضد ارادتي ، والشتائم التي اود ان افوه بها ، يتحتّم عليّ ان اكتمها . ان الله رحيم لكونه قد جعل على الارض حداً لارادتنا السيئة . اماتنا قبل الاوان ، كما فعل بي ، او حال دون عواقب خياثتنا . اما الآن فرحمته ترفع عنا تعذيب زيادة تقربنا اليه ، فان كل خطوة تدنينا اليه من حذه الجحيم البعيدة ، كانت تسبب لنا احتراقاً افظع من اشد كومات الحطب اشتعالاً .

اتذكر اني كدت اشككك ياعادتي اليك ، من زمن بعيد ، قول ابي حذا الذي قاله بضعة ايام قبل تناولي الاول : « يا بنيتي آنّت (Annette)

حاولي الحصول على فستان جميل ؛ كل ما سوى ذلك انما هو مزاح سيء .» عندئذ كدت تجعليني احمرّ خجلاً ؛ اما اليوم فاني اضحك . النقطة الوحيدة المعقولة في كل ذلك الشأن . هي اننا لم نُقبل للتناول الا في العاشرة من عمرنا . انا . في تلك السن . كنت اشد استبشاراً للعالم من ان اشعر بادنى اضطراب ضميري في اهمال الحياة الدينية ؛ وعلى الاخص التناول الاول . كون كثير من الاطفال يذهبون الآن الى التناول في السابعة من عمرهم . ينعمنا شيئاً . فنحرك كل ساكن لايهام الناس ان ضمير الاولاد في تلك السن ليس كافي الاستنارة . ليبدأوا في اول الامر بارتكاب بضع خطايا مميتة . فلن يُلحق بهم القربان بعدئذ اقل ضرر . بعكس ما يحدث اذا ظلوا حائرين في تلويهم على الايمان والرجاء والمحبة ؛ كما تقولون . المقبولة في العباد . اتتذكرين اني ابديت لك هذا الرأي على الارض ؟

قد لمّحت الى ابي ؛ كان كثير الجدال مع امي . لم احدّثك عن ذلك الا ندرةً ؛ اذ كنت استحي منه ؛ ما اجدر بالمرء هذه العاطفة ، اعني الحياء امام الشر . لم يبق لنا هنا خير ولا شر .

كان والداي قد كفّا عن الرقاد في الغرفة ذاتها ؛ انا كنت مع امي ؛ وابي في الحجرة المجاورة . حيث له حرية العودة في اي ساعة شاءها . كان منهمكاً في شرب المسكرات ومبذّراً مالنا على ذلك الوجه . كانت اختاي مستخدمتين ومحتاجتين ؛ على حسب قولها ؛ الى الدراهم التي كانتا تربحانها .اذ ذلك شرعت امي في الشغل ...

الليلة التي اصيب فيها ابي بسكتة قتالة ، قد حدث امر لم يسعني قط ان ابوح لك به . اما الآن فلا شك في انك تعرفينه . الحادث خطير لان الروح التي لا تزال تعذبني ؛ قد هاجتني وقتئذ المهاجمة الاولى . كنت نائمة في غرفة امي ؛ تنفسها المطرد كان دليل نوم ثقيل . ها انا اسمع فجأةً لفظ اسمي ؛ صوت مجهول يقول لي : « ماذا يحدث اذا مات ابوك ؟ » كنت قد عدلت عن حب ابي منذ مخاشنته الشديدة لأمي . من جهة اخرى كنت وقتئذ لا احب احداً ؛ ولم يكن لي سوى بعض التعلق بنفر

من الاشخاص النطيفة تحوي . ان الحب الذي لا يتوقع مقابلته يذهب على الارض . لا يحيا الا في النفوس التي في حالة النعمة ، ولم اكن منها.

اجبت السؤال الغامض : « ان اني ليس على وشك الموت . » هنيهة بعدئذ ما هو السؤال عينه المسؤول واضحاً . فأجبت بحدة : « ان اني ليس على وشك الموت . » المرة الثالثة سمعت شخصاً يسألني : « ماذا يحدث اذا مات ابوك ؟ » فخطر ببالي عندئذ ان والدي كان يعود مرارًا الى البيت سكران . فيصرخ ويضرب امي . مذللاً ايانا امام الجيران . فصحت اذ ذاك : « لم يصبه سوى ما استحقه . » وساد السكوت الشامل . في الصباح : اذ قصدت امي ان ترتب غرفة اني ، وجدت الباب مغلقاً بالمفتاح . حول الظهر كُسر الباب ؛ كان والدي لابساً نصف ثيابه ، وهو جثة هامدة منطرحة على الفراش . فهل تُرى جعل الله اهتداء اب منوطاً بارادة بنت قد لطُف بها الرب بعض اللطف ؟ ...

قد انذرتني مرة هذا الانذار : « يا آنّت ، ان لم تزيدي صلاتك ، فوف تهلكين . » في الواقع كنت اصلي قليلاً ، وعلى كل حال بدون نشاط . مع ذلك كان رأيك صائباً . كل الذين يحترقون في جهنم لم يصلوا قط او بالقدر الكافي . الصلاة هي اول خطوة نحو الله . بل الخطوة الجازمة ، ولاسيما الصلاة الى التي كانت ام المسيح ، ونحن لا نلفظ اسمها البتة . العبادة المهرّمة نحوها قد انتزعت من الشيطان نفوساً لا تحصى ، كانت الخطيئة ، لولا ذلك ، قد سلّمتها حتماً بين يديه . اواصل روايتي كأني مقصورة . الصلاة هي اسهل شيء يستطيع الانسان ان يعمله على الارض ، وبهذا الواجب الوحيد ، دون سواه ، يُنيط الله خلاص كل منا . المواظب على الصلاة يجود عليه شيئاً فشيئاً بنور ساطع ، وبقوة بحيث يقدر اشد الخطأة انغماساً في الشر على النهوض منه ، ولو كان غاطساً في الوحل الى العنق . لقد كففت عن الصلاة المفروضة عليّ في آخر اعوام حياتي ، وعلى ذلك المنوال حرمت نفسي النعم التي لا يستطيع احد ان يخلص ذاته بدونها .

هنا لا تنال ادنى نعمة ، حتى لو تلنا نعماً ، لكنا نرفضها بارادتنا .

كل تقلبات العيشة الارضية تزول في هذه الحياة الاخرى. عندكم على الارض يقدر الانسان ان يرتقي من حالة الخطيئة الى حالة النعمة. ومن النعمة ان يسقط في الخطيئة؛ مرارًا عن ضعف واحيانًا عن خباثة. بالموت تزول جميع تلك الممكنات. فان مصدرها في نقص الانسان. اما نحن فقد ادركنا منذ الموت حالتنا النهائي. بقدر التقدم في السن تندر تلك التقلبات. في الحقيقة يمكن الانسان حتى الموت ان يتجه الى الله او ان يدير اليه ظهره. مع ذلك. بسبب التيار الذي يجره. يسلك في ساعة الموت. بزهيد بقايا ارادته. كما اعتاد ان يفعل في الحياة. العادة الحسنة او السيئة قد صارت طبيعة ثانية؛ ذلك ما حدث لي. كنت عائشة منذ اعوام. بعيدة عن الله. ومن ثم قابلت آخر دعوة النعمة باعتزام مضاد لله. ليست كثرة ارتكاب الآثام التي اهلكتني. بل عدم الشجاعة للنهوض من عثراتي.

قد حرضتني مرارًا على سمع المواعظ وقراءة كتب تقوية. فكان جوابي المعتاد: «لا وقت لي.» في الواقع كنت اخشى تخسر الضمير. من جهة اخرى كنت قد توغلت جدًا في طريقي؛ بحيث يصعب عليَّ كل الصعوبة ان اعود على عقبيّ. قُبيل خروجي من جمعية التيات. كنت اشعر باضطرابي وشقائي؛ بيد ان حائطًا كان يحول بيني وبين الاهتداء. لا شك في انك لم ترجمي ذلك؛ كان الامر يبدو لك شديد البساطة، بحيث قلت لي يومًا: «الا اعترفي، يا آنّت؛ اعترافًا حسنًا، فتستقيم كل شؤونك.» كنتُ فاهمة ذلك المفعول كل الفهم؛ بيد ان الشيطان والعالم والجسد كانوا قد شددوا الضغط عليَّ بين براثنهم. لم اومن قط بتأثير ابليس؛ اما الآن فاشهد انه يُغوي كل النفوس الشيهة بنفسي في تلك الاعوام. صلوات الآخرين المتحدة بصلواتي وبعض الآلام كانت وحدها قادرة على انتزاعي منه رُويدًا. ان كانت الظواهر تدل على قلة الذين تسلط عليهم الشيطان تسلطًا كاملاً، فان الممسوسين ربوات. لا يقدر ابليس ان يتملك الارادة الحرة في الذين قبض عليهم، بيد ان الله يترك للشرير مقدرة اغوائهم، عقاباً لانكارهم المطرد.

انا ايضاً ابغض الشيطان ؛ لا اهوى فيه سوى جهده لاهلاككم . ليس وحده ؛ بل له اتباع يخصّون بالملايين . يجولون بدون علمكم في كل مكان على الارض . ليس من شأننا نحن المرذولين ان نجربكم ؛ فان ذلك عمل الارواح المحضة الساقطة . وايم الحق ؛ عذابهم يزيد كلما جرّوا الى هنا نفساً بشرية[1] ؛ ماذا لا يستطيع البغض ان يعمله ؟

السُبل التي كنت اسلكها كانت تبعدني عن الله . بيد ان الله كان يتبعني رغم انفي . بضعة اعمال محبة كنت اصنعها عن ميل طبيعي ؛ كانت تمهد مراراً طريق النعمة . كان الله يجتذبني احياناً الى كنيسة . فاشعر وتتملّكني شبه شوق الى الوطن . حين تحتم عليَّ الاعتناء بأمي المريضة . مع شغلي في المكتب . كانت جاذبية الله شديدة التأثير فيَّ بين تضحياتي . ذات يوم . في كنيسة المستشفى الذي ذهبت بي اليه عند الظهر . شعرتُ في باطني بتأثر عظيم . الى حد كفاية خطوة واحدة لاهتدائي . فبكيت . لكن العالم قد استعاد تسلطه عليَّ المماثل لسيل يمر على النعمة . فكان بذرها مختنقاً في العوسج . كنت اصرح لنفسي بان الدين مبني على العواطف ؛ وتخلصت من ذلك التحريك كما فعلت بغيره .

يوماً من الايام وبختني لاني حنيت ركبتي امام بيت القربان حناية خفيفة ؛ عوضاً عن الركوع حتى ملامسة الارض . لم ترني في ذلك سوى بعض التواني ؛ فبدا لي انك لم ترجعي عندئذ اني عدلت عن الايمان بحضور المسيح في سر القربان . اما الآن فاني اومنُ به . بيد ان ايماني كالايمان بالعاصفة المشاهَدة نتائجها . كنت انا ذاتي قد اختلقت لنفسي ديانة . كنت اؤكد — ولم اكن منفردة في المكتب بذلك التأكيد — ان النفس تنتقل بعد الموت الى جسد آخر وتواصل سفرها . على هذا المنوال كانت مشكلة الآخرة محلولة على وجه مطمئن . لماذا لم تذكّريني مثل الغني الطالح ولعازر الفقير المتقولين فوراً بعد الموت ؛ احدهما الى جهنم والآخر الى الفردوس ؟

شيئاً فشيئاً صفت انا ذاتي لنفسي الماً ذا مزايا كافية ليُدعى الماً ،

---

١) قال القديس يوحنا الاكويني : «كلما كثر عدد الهالكين، زاد عذاب كل منهم» .

وذا ابتعاد كاف لاعفائي من كل علاقة به : وقد قللت تحديده ليصير : على حسب الاحتياجات : اما حلولياً او خيالاً شعرياً . من ذلك الاله لم اتوقع فردوساً ولا جحيماً : كنت اتركه وشأنه : هكذا كانت طريقتي انا لاكرامه . الانسان يؤمن طوعاً بما يلذ له : فكنت في الاعوام التالية ذات ايقان غير زهيد بديانتي : لم يكن غير شيء واحد قادراً على تحطيم تصلبي . وهو الم طويل او ثقيل . لكنه لم يعنني ! انتبهتم الآن معنى هذه الآية « الله يعاقب من يحبهم » ؟

كان يوم احد من تموز : اذ نظمت جمعية الفتيات نزهة الى ا . . كانت النزهة قد راقتني لولا احاديث الفاسدي التقوى : التي لا نهاية لها . كانت صورة غير ايقونة العذراء سيدة ا. ثاوية في قلبي من زمن قريب : وهي صورة مكس (Max) الجميل جارنا . كنا قد تبادلنا مدةً قبلئذٍ احاديث لطيفة . في يوم الاحد ذلك كان قد دعاني الى نزهة : اذ كانت الفتاة التي اعتاد الخروج معها : في المستشفى . كان قد فهم انني اخترته. حتى ذلك الوقت لم افكر في تزوجه : كان عائشاً في الرخاء : لكنه يبدي لجميع الفتيات لطفاً مفرطاً : اما انا فكان مرادي ان استأثر بزوجي ... في تلك النزهة بذل لي مكس انواع المجاملة : ولم تتبادل احاديث التقوى الزائفة . في الغد وبخني لعدم ذهابي الى ا . . رويتُ لك كيف قضيت يوم الاحد ، فكان سؤالك الاول « هل حضرت القداس ؟ » كيف كنت استطيع حضوره : وقد انطلقنا الساعة السادسة ؟ لا شك في انك تتذكرين احتدادي : قد اضفت : « ليس الله ضيّق الافكار مثلكن. » اما الآن فلا بد من اقراري بان الله : مع لطفه ، يفوق كل خوري رعية بعنقه في وزن اعمالنا .

بعد ذلك الخروج الاول مع مكس لم اذهب الى الجمعية الا مرة واحدة : في عيد الميلاد . كان دافع يدفعني الى الذهاب ويجتذبني : لكن السينما والرقص والنزه كانت تتراوح إلهائي . قد اختلفنا انا ومكس احياناً ، بيد اني عرفت دائماً كيف اعيده اليّ .

الفتاة الاخرى صارت تضيّق مذاهبي ، وهي ، من حسن حظي ،

قد سلكت بعد خروجها من المستشفى . سلوكاً مفرط الشراسة . اما هدوئي ورزانتي فكان لها وقع شديد في مكس . وظلت مستولية عليه . قد اجدتُ تبغيض مزاحمتي اليه باقوال معتدلة . غير ان قلبي مملوء بغضاً . مثل تلك العواطف والموقف هو استعداد كامل للجحيم : فانها شيطانية بحصر معنى هذه الكلمة . لماذا اروي لك كل ذلك ؟ لتعرفي كيف انفصلت عن الله انفصالا حاسماً . من جهة اخرى لم يكن سبب تلك المصارمة اني بلغت في الغالب مع مكس اسفل درجات الدائة : لو كنت سلّمت ذاتي له بدون تحفظ : لرذُلت في عينه : بيد اني كنت مستعدة لكل شيء عند مسيس الحاجة . كان مرادي ان املك مكس . ولادراك تلك الغاية كنت ابذل النفس والنفيس . فضلاً عن ذلك كانت عدة مزايا جليلة مشتركة بيننا ، تستدرجنا الى التقدير والمحبة . كنت ذكية . خفيفة الظل . ماهرة ، فكان مكس في قبضتي . على الاقل في المدة السابقة لزواجنا : وقد توفقت الى الاستئثار به . جوهر خطيئتي نحو الله اني جعلت خليقةً غايتي وحسبي . في ذلك خطر الحب الجسدي وفتنته وسمّه : العبادة التي كنت اقدمها الى ذاتي في شخص مكس . قد اصبحت دياتي . قد حدث ذلك اذ كنت في المكتب احتدم غضباً وبغضاً لذوي التنوى الزائفة والكهنة والغفرانات وملهوجي تلاوة السبحة . حاولتِ ببعض المهارة ان تدافعي عنهم ، فبدا لي كونك لم ترجعي اني اطلب بالاحرى : في عمق ذاتي ، نقطة استناد عقلي وتبريراً لسلوكي . لم تدركي ذلك اذ توهمت اني لا ازال كاثوليكية . كان مرادي حفظ هذا الاسم : لظني ان فيه اماناً لا يستطيع ايذائي ، بجانب اماني المزعوم .

من الممكن ان تكون اقوالك قد اصابت الهدف احياناً : كانت عادمة التأثير فيَّ ، لاني لا اريد ان تكوني مُحقّة . قد فسدت علائقنا جداً حين زواجي ، فافترقنا بدون اسف . قبل الخلة اعترفت وتناولت مرة اخرى ، اذ كنت متفقة مع زوجي في هذا الشأن . لماذا تأبى ذلك العنصر من الآداب المألوفة ؟ قد عملنا به مثل غيرنا . تسنّين مثل هذا التناول نفاقياً ؛ مع ذلك قد شعر ضميري منذئذ بهدوء اكبر ، من جهة اخرى كان ذلك تناولي الاخير .

كانت حياتنا الزواجية ذات رفاء على وجه التعميم : اذ كان لنا رأي واحد في جميع الشؤون . ولا سيما في عدم ارادتنا اولاداً . في الحقيقة كان زوجي مستعداً لقبول ولد واحد . وبعد حين ردعته عن تلك الفكرة. الفساطين . الاثاث الفاخر ، حفلات الشاي . النزه والاسفار في السيارة كانت اكثر جاذبية لي من الامومة. وقد امتلأت بالملذات السنة المنقضية بين زواجي وموتي . كل الآحاد كنا نخرج بالسيارة او نذهب لزيارة والدتي زوجي ، كنت وقتئذ اخجل من حالة امي . كان والداه يعيشان مثلنا عيشة سطحية . لم اشعر بالسعادة في باطني . مع فرحي الظاهر ، كان يلازمني في عمق نفسي قلق مبهم يفترسني ، فأود ان اؤجل الى المستقبل الاقصى ذلك الموت اخترم من طبعه ان يكون نهاية كل شيء . سمعت في طفولتي واعظاً يؤكد في المنبر ان الله يكافئ كل عمل صالح في هذه الدنيا او في الاخرى . وهو قول صائب . قد اتفق اني نلت ميراثاً من عمتي لوت (Lotte) . واسعد الحظ زوجي بالحصول على مرتب وافر . ومن ثم تمكنت من وضع اثاث جميل في مثوانا الجديد .

الامكنة والفنادق التي كنا نتردد اليها في سياحاتنا ، كانت عاجزة عن جعلنا نتوب الى الله . فاذا زرنا كاتدرائية مررنا بها ، كان مظهرها الفني وحده يلفت نظرنا . التحمس الديني الصادر عن مصنوعات القرون الوسطى . كنت اجيد مقاومته بانتقاد جزئي لراهب اخرق ، وسخ الثوب ، من الرهبان القائمين بالاشغال اليدوية ، او للتشكيك الناجم عن بيع مشروبات صنعها الرهبان ، ولمثابرتهم على جمع الصدقات . على ذلك المنوال كنت انبذ النعمة كلما قرعت بابي . قبل كل شيء كنت اطلق العنان لاستيائي امام تصوير ساذج للجحيم ، حيث يظهر الشيطان ، وهو يشوي النفوس على جمرات حمراء ، بينما يجر رفقاؤه الطوال الاذناب ضحايا جديدة . يا كلارة ، ربما اخطأ الانسان في تصوير جهنم ، بيد انه لا يبالغ قط . تتذكرين اني اتخذت نار جهنم على الدوام هدفاً لاستهزائي . ذات يوم ، في اثناء جدال ، امسكت ثقاباً مشتعلاً تحت انفك وقلت لك بسخرية : « اهذه رائحة جهنم ؟ » فأطفأت اللهيب بسرعة ؛ حتى لا يطفئه احد !

اقول لك ان النار التي يتكلم عنها الكتاب المقدس لا تدل على تعذيب الضمير . النار هي نار ؛ فيجب ان نفهم بالمعنى الحرفي هذا القول : « ابعدوا عني ، يا ملعونون ، الى النار الابدية ! » بالمعنى الحرفي. ربما سألتني : « كيف يمكن الروح ان تتأثر من نار مادية ؟ » اجيبك : « كيف يمكن ان تصاب على الارض بالنبيب الذي يحرق اصبعك ؟ النفس لا تحترق . في الحقيقة ؛ ولكن ما اشد العذاب الذي يقاسيه كيانك برمته ! نحن هنا مقيَّدون بالنار تقييداً روحياً ؛ النفس مجردة عن اندفاعها الطبيعي ؛ فلا نستطيع التفكير في ما نريد وكما نريد . لا تتعجبي من هذه الاسطر . في تلك الحالة الفائقة ادراككم يتجسد اذا لك بدون ان يتلاشى .

اكبر تعذيب لنا هو ايقاننا اننا لن نرى الله ابداً . كيف يكون سبب تعذيبنا ما تركنا على الارض في اتمّ عدم المبالاة ؟ ما دام السكين على المائدة ؛ فانه لا يؤذي . نرى انه قاطع ؛ لكننا لا نختبر قطعه . اما اذا غرزته في لحمك ؛ فتصرخين صرخات الالم . الآن نشعر بخسارة الله ؛ قبل ذلك نفكّر فيها فقط . لا تألم كل النفوس بالمقدار ذاته ؛ فان الخاطئ يزيد شعوره بخسارة الخير الاعظم بقدر زيادة خبائته وقصده المبدإي في ارتكاب الخطيئة . الهالكون الكاثوليك اكثر تعذباً من غيرهم لانهم قد نالوا ونبذوا في الغالب نعماً اكثر . من كان اوفر علماً فعذابه اقسى من عذاب هالك اقل علماً . من اخطأ عن خباثة اشد تألماً ممن اخطأ عن ضعف . مع ذلك لا يتعذب احد اكثر مما استحق ...

قلت لي يوماً ان جهنم لا يذهب اليها احد بدون علمه ؛ وفقاً للوحي الحادث للقديسة ترازية الافيلية ، فاستهزأت عندئذ ؛ ثم طمأنت ذاتي في شأن ذلك التصريح ؛ قلت في خفاء ضميري : « عند اللزوم يبقى لي اذاً وقت كاف لتغيير وجهة حياتي . » في الحقيقة لم يكن لي قبل موتي الفجائي ادنى فكر على جهنم ؛ لكني كنت عالمة بهذا ، على الاقل ؛ وهو اني ، اذا متُّ ، اذهب توّاً الى الاخرى مثل سهم مرشوق على الله ، فاقاسي العواقب . لم اعتد لاستيلاء العادة عليّ ؛ فان الناس يثبتون على الاتجاه الذي اختاروه بقدر تقدمهم في السن .

هاك كيفية موتي . منذ اسبوع ؛ وفتاً لحسابكم – فاني احترق في الجحيم من عشرة اعوام ؛ على فتي – منذ اسبوع انطلقنا للنزهة انا وزوجي ؛ يوم احد . الاخير لي . كان النهار ساطعاً بالنور ؛ وصحتي خير منها في سائر حياتي ؛ فغمرتني سعادة وخيمة لازمتني طول النهار . بيد ان زوجي . عند العودة . اعماه متصاحا سيارة مندفعة بغاية السرعة . فاصبح عاجزاً عن قيادة مركبته . « يا يسوع ! » هذه الكلمة قد فلتت من شفتيّ . لا صلاةً بل صرخة ؛ واخذ مني الم فظيع كل مأخذ ؛ مع انه كالعدم بالنسبة الى عذابي الحاضر ؛ ثم اغمي عليّ . من غرائب الامور ان فكرة لا استطيع تعليلها كانت قد خطرت ببالي : « الا اقدر ان اذهب الى القداس مرة اخرى ؟ » كان ذلك الخاطر شبه استحلاف . فأجبت برفض جازم قطع مجرى افكاري ؛ « يجب ان اضع حداً نهائياً لجميع هذه الشؤون . فآخذ على عاتقي عواقب اعتزامي . » اما الآن فاني اقاسي تلك العواقب .

ما جرى بعد موتي تعرفينه : نصيب زوجي وامي وما طرأ على جثتي . انا واقفة على تلك التفاصيل بمعلومات طبيعية نحصل عليها هنا . اما ما يحدث على الارض ؛ فاننا نُطلّع عليه بطريقة مبهمة . بيد اننا نعرف ما له صلة وثيقة بنا ؛ ومن ثم ارى اين تسكنين . صحوت من تلقاء ذاتي ؛ وعند خروجي من الظلام الذي غمرني عند وفاتي ؛ اصبحت كأني مغمورة بضياء باهر ؛ كان ذلك في نفس المكان التي جثتي منطرحة فيه . قد حدث ذلك مثلما يحدث في مسرح ؛ حين تُطفأ كل انوار الردهة ؛ فيرتفع الستار مخشخشاً على مشهد غير متوقع ؛ مُنار بضياء مُرعب ؛ كان مشهد حياتي . شاهدتُ بوضوح ، كأني امام مرآة ، نفسي وجميع النعم المنبوذة ، الى آخر كلمة رفض قلتها لله . كنت كالقاتل الذي تقدم اليه ضحيته العادمة الحياة . فهل اندم ؟ ابداً ! هل اخجل ؟ ابداً !

مع ذلك لم استطع مقاومة نظر الله ، فلم يبق لي ملاذ سوى الفرار . كما هرب قايين مبتعداً عن جثة هابيل ، تخلصت نفسي من ذلك المنظر الماثل . كانت الدينونة الخاصة للديان الذي لا يُرى ويقول : « اليك عني ! » عندئذ دُهورت نفسي ، مثل سحابة من كبريت ، في هاوية التعذيب الابدي .